رموز الأصوات المعربة مشكلة ومشروع حل

بقلم : د. حسن محمد تقي سعيد
كلية التربية بجامعة السابع من أبريل - ليبيا

ينجم عن الصراع اللغوي بين لغتين أو أكثر نتائج لغوية عديدة لعل من أهمها انتقال عدد من المفردات من لغة إلى أخرى. وعادة ما تحاول اللغة المقترضة لها من أن تطوعها لتتناسب مع أصوات ألفاظها وطريقة صوغها للكلمات.

ولا بد للغة التي تنجح في تطويع المفردات الأجنبية من إيجاد الحلول لعدد من المشكلات اللغوية. ومن أهمها كيفية الرمز للأصوات الأجنبية التي لا يوجد ما يماثلها في لغتها، وهذه المشكلة ليست بالأمر الهين بل أنها من الأهمية بمكان، والدليل على ذلك أن كل لغات العالم تقريبا قد عنيت بها، وحاولت إيجاد حل ناجح لها. يضاف إلى ذلك أنها ليست مشكلة قديمة قد حسمتها اللغات في بداية معالجتها لها. وإنما هي متجددة الحدوث أيضا ومستمرة عبر الزمن ولا تتوقف أو يقلل من خطورتها ما دام الصراع بين اللغات موجودا. وهذا ما يجعلها مشكلة قديمة حديثة تتطلب المعالجة المستمرة واليقظة التامة من قبل كل لغة لاصطياد كل مفردة أجنبية حوت أصواتا غير مألوفة فيها.

وإذا ما عرفنا أن وتائر اقتراض المفردات بين لغات الأمم متزايدة، وبخاصة عند الأمم غير المتحضرة أو الأقل تحضراً ، فإننا نتصور مدى جسامة هذه المشكلة.

ثم إن عددا من اللغات التي ما زالت حية على الرغم من شدة محاولاتها لإيجاد حل مرضٍ لها ؛ فإنها لم توفق إلى ذلك. كل هذا يضفي على هذا الموضوع أهمية خاصة.

ولا شك أن هذه المشكلة بارزة في عدد لا يستهان به من اللغات الحية وتتطلب المعالجة لها. لكن أسبابا علمية وموضوعية تدفعنا إلى الاقتصار على معالجة هذه المشكلة في اللغة العربية من أجل معرفة ما وضعته من حل لها من جهة، ومدى إمكانية تطويره ليكون أكثر نجاعة وأيسر في التعليم والاستخدام من جهة أخرى.

والذي يطّلع على جهود العلماء العرب في هذا الموضوع يرى أنهم كانوا مختلفين بحيث يشكلون فريقين متباينين في المواقف. وفيما يأتي رأي كل منهما :

أولا : موقف العلماء القدماء : ذهب اللغويون العرب القدماء إلى ضرورة تغيير كل الأصوات الأعجمية التي لا يوجد ما يماثلها في اللغة

العربية في أثناء تعريب المفردات ؛ لتكون موافقة لأصوات الكلمات العربية.

ولعل من أوائل من ذهب إلى ذلك سيبويه (ت 180هـ) بقوله إن العرب «مما يغيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم ألبتة»[1].

وإن التغيير في الأصوات الأعجمية لا يكون اعتباطيا وإنما يكون على أساس قربها للأصوات العربية من حيث المخرج غالبا أو من حيث مكان وجوده في الكلمة، وقد يتركون الأقرب إلى غيره أحيانا إذا كان أكثر اتفاقا معه في الصفات. وقد أشار إلى بعض ذلك سيبويه بقوله إن «البدل مطرد في كل حرف ليس من حروفهم يبدل منه ما قرب منه من الحروف الأعجمية»[2]. وقال أيضا «إن العرب عربوا كلمة (كفجلاز) إلى (قفشليل) فاتبعوا الآخر الأول لقربه في العدد لا في المخرج»[3]. أي أن العرب غيرت الزاي إلى لام لقربها من اللام الأولى الموجودة في الكلمة.

ولعل اللغويين الذين جاءوا بعده قد أخذوا برأيه هذا، فقد ذكر الجواليقي (ت 540 هـ) أن العرب «كثيرا ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجاً. وربما أبدلوا ما بعد مخرجه أيضا والإبدال لازم ؛ لئلا يدخلوا في كلامهم ما ليس من حروفهم»[4].

وهذا الرأي قد ردده الخفاجي أيضا في كتابه شفاء الغليل[5].

وقد ضرب اللغويون أمثلة على الأصوات التي لا يوجد لها مثيل في العربية التي غيّرها العرب عند التعريب بالصوت الذي بين «الجيم والكاف وربما جعلوه جيما وربما جعلوه كافا وربما جعلوه قافا لقرب القاف من الكاف... وأبدلوا الحرف الذي بين الباء والفاء فاء وربما أبدلوه باءً»[6].

وهذا البدل يكون مطرداً في كل صوت مغاير للأصوات العربية وقد فطن السيوطي (ت 911هـ) إلى ذلك من خلال استشهاده بأمثلة مأخوذة عن العرب في أثناء التعريب، من ذلك قولهم «كربج الكاف فيه بدل من حرف بين الكاف والجيم فأبدلوا فيه الكاف أو القاف نحو قربق أو الجيم نحو جورب. وكذلك فرند هو بين الباء والفاء فمرة تبدل منها الباء ومرة تبدل منها الفاء»[7].

ومما تقدم نتوصل إلى أن موقف اللغويين العرب القدماء من تعريب الأصوات يتلخص في نقطتين هما :

أ ـ تغيير الأصوات الأعجمية التي لا يوجد نظير لها في العربية إلى أصوات عربية قريبة إليها من حيث المخرج غالباً أو الصفات أحياناً.

ب ـ عدم تحديد صوت عربي واحد لكل صوت أعجمي وإنما أعطوا حرية للمعرِّب في اختيار أي صوت يراه مناسباً ـ من صوتين أو ثلاثة على حسب الصوت الأعجمي المراد تعريبه.

وبناء على هذا الموقف لا تكون هناك مشكلة في الرمز للأصوات الأعجمية لأنها غيّرت إلى العربية. ومن ثم فإن الذي يكتب الألفاظ المعربة سوف يستخذم الحروف العربية نفسها.

ولا شك أن لهذا الموقف مزايا عدة منها عدم إضافة رموز لحروف جديدة تنقل بها الأصوات الأعجمية إلى العربية كما أنه لا يولّد صعوبات مضافة في الإملاء للطلاب المبتدئين أو إضافة أزرار جديدة إلى الآلات الطابعة أو أجهزة الحاسوب (الكمبيوتر).

لكن مع ذلك فإن هذه الطريقة لا تخلو من مساوىء. ولعل من أهمها عدم قدرتها على الرمز للأصوات الأعجمية. ومن ثم لا يستطيع القارىء للمفردات الحاوية أصواتاً أعجمية من نطقها بشكل صحيح. يضاف إلى ذلك أن هذه الطريقة أدت إلى تعريب بعض المفردات على ثلاث صور أمثال كلمة (كربـج) فقد عربت على هذه الصورة مرة وعلى صورة (قربق) أخرى وعلى صورة (كربك) ثالثة[8].

ولعل المحدثين قد اتبعوا الأسلوب نفسه عند تعريبهم كلمة (english) إلى (الانكليـزي) أو (الانجليزي) أو (الانقليزي) ولعل هناك صوراً أخرى لها.

ولا شكّ أن اختلاف صور الكلمة يولد صعوبات تعليمية للطلاب والباحثين عند الشك في أنها كلمة واحدة بصور ثلاث أو كلمات ثلاث مختلفة ومتشابهة في كثير من حروفها. ويزداد احتمال الخلط بينها في المفردات التي يقل استعمالها أو التي يسمعها الطالب أو الباحث لأول مرة.

وبناء على ذلك لا أرى ضرورة اتباع هذه الطريقة في الرمز للأصوات الأعجمية المعربة. وإنما أرى من الضروري إيجاد طريقة أخرى تتلافى ما في هذه من مساوىء وتؤكد ما فيها من مزايا لعلنا نستطيع الوصول إليها بعد أن نستعرض موقف الباحثين المحدثين في هذا الموضوع.

ثانيا : موقف العلماء المحدثين :

ذهب عدد كبير من العلماء المحدثين إلى موقف آخر ومنهج مختلف عن سابقيهم فأجازوا استعمال رموز جديدة يشار بها إلى الأصوات الأعجمية لأن طريقتهم في التعريب سمحت بإبقاء بعض الأصوات الأعجمية من دون تغيير. ومن ثم لابد لهم من أن يضعوا حلا لكيفية الرمز إليها في أثناء الكتابة. وقد كان للمجامع العربية تصور معين فقد قرر مجمع اللغة العربية الأردني مثلا أن «تكتب الحروف اللاتينية (ch. g. v. p) بالعربية كما يلي (ب، ف، ج، ك)»[9].

وإن المجامع العربية الأخرى لا تكاد تختلف عن هذا التصور وقد سبق قسم منها إلى اتخاذه وأضافوا حرفاً آخر إليها وهو «ژ كما في كلمة (measuy) بصورة زاي بثلاث نقط»[10].

ولعل الباحثين المحدثين بمن فيهم أعضاء المجامع قد تأثروا بما فعله اللغويون الفرس أو غيرهم عندما استخدموا الحروف العربية في الكتابة ؛ فكان عليهم أن يضعوا رموزا جديدة للأصوات الموجودة في ملفاتهم التي ليس لها مثيل في العربية ؛ فاختاروا لها رموزا مأخوذة من الرموز العربية ووضعوا عليها علامات للتفريق بينها فقارنوا الأصوات الأعجمية بالعربية واختاروا أقربها إليها ووضعوا عليها نقاطا للتفريق بينها. فجاءوا إلى الصوت الذي هو قريب إلى الباء (P) فرمزوا له بحرف الباء مع إضافة نقطتين إليه من أسفل ليكون (پ) لأن إضافة نقطة واحدة تشبهه بحرف الياء. وهذا الشيء نفسه فعلوه عند الرمز لأصوات (V) بـ (ڤ) و(ch) بـ (چ) لكنهم لم يتبعوا طريقة إضافة النقطتين للتمييز بينهما عند الرمز لصوت (G) بـ (گ) وإنما جعلوا الشارطة المضافة هي المائز بينهما. وإذا قبلنا تعليلهم بأن السبب في ذلك يعود إلى أن الكاف غير منقوط فإنهم لم يسلموا من سؤال عن سبب عدم وضع شارطتين عليه أسوة بالنقطتين في الحروف الأخرى. فإن تعللوا بعدم الحاجة إلى ذلك لعدم الاشتباه، قلنا لهم لماذا لم تتبعوا ذلك في حرف (چ) لأن إضافة نقطة واحدة على الجيم تكفي للرمز إليه، وتؤدي إلى عدم الاشتباه بغيره.

وحتى لو غضضنا الطرف عن منهجهم في وضع العلامات الفارقة فإن في اتباع هذه الطريقة مساوىء عدة منها أنها سوف تؤدي إلى إضافة حروف جديدة إلى ما في العربية ولا شك أن في ذلك مشاكل عديدة منها صعوبة حفظها من قبل الطلبة المبتدئين وازدياد احتمالات الخطأ الإملائي عندهم تبعا لازدياد الحروف. وتكبر هذه المشكلة وتتعقد أكثر لو عرفنا أن الأصوات التي نحتاج إلى تعريبها مستقبلا تزيد عما عرفناه الآن وأذكر على سبيل المثال أن هناك صوتا بين النون والغين موجود في اللغة الكورية وإذا أضفنا إلى ذلك اللغات التي شبت فيها الحضارة لاتضح لنا مقدار الأصوات الجديدة التي نحتاج إلى الرمز إليها لو اتبعنا هذه الطريقة في المستقبل المنظور فضلا عن المستقبل البعيد.

وبناء على كل ما تقدم نصل إلى أن هذه الطريقة ليست صالحة للاتباع لما فيها من مشاكل تعليمية وإملائية إضافة إلى صعوبة استخدامها في الآلات الكاتبة لأنه يتوجب إضافة أزرار جديدة إليها بعدد هذه الحروف الجديدة مضروبا في ثلاثة لأن رسم كل حرف منها في بداية الكلمة يكون مختلفا عنه في وسطها أو آخرها اسوة بما هو معمول به في رسم الحروف العربية، لكن على الرغم من كل ذلك، فإن هذه الطريقة لا تخلو من بعض المزايا لعل من أهمها أنها تمكن من نطق الأصوات الأعجمية بشكل صحيح وهذه الميزة ينبغي الاستفادة منها عند الوصول إلى الطريقة المثلى في هذا الموضوع.

وهناك موقف آخر اتبعته بعض اللغات المنضوية تحت الفصيلة الهندية الأوربية ويكون عن طريق الرمز للصوت الأجنبي عن لغتها بحرفين أمثال رمزها لصوت الخاء مثلا ب (kh) ولصوت حرف الذال بـ (th) ولصوت حرف (چ) بـ (ch) وهكذا.

وهذه اللغات تخلصت بهذه الطريقة من إيجاد حروف جديدة ومن ثم لا تكاد توجد عند مستخدميها مشكلة في الرسم أو في إضافة أزرار جديدة لآلات الطابعة أوالحاسوب. لكنها لا تخلو من مشاكل منها أن القارىء لا يعلم على وجه الدقة هل أن كل حرف في الكلمة يرمز للصوت المعتاد إليه أو أنه كوّن مع حرف آخر صوتا جديدا وهذه النقطة ولّدت مشاكل بالنسبة لأبناء اللغة نفسها فضلا عن إمكانية تطبيقها على اللغة العربية. ولو طبقنا ذلك على كلمة (چرخ) ورمزنا لصوت (چ) بالحرفين التاء والشين أي (تش) لكتبت هذه الكلمة (تشرخ) وهنا يقع الخلط في قراءتها بين الفعل المضارع من (شرخ) وكلمة (چرخ) الدالة على آلة معروفة في اللهجة العراقية. وبناء على ذلك لا تصلح هذه الطريقة للاتباع أيضا.

الحل المقترح :

إن الحلّ الذي أراه ناجعا لهذه المشكلة ولا يسبب آثارا سيئة على اللغة هو اعتماد الطريقة العربية القديمة في تعريب الأصوات ما لم تدع الحاجة الماسة إلى إيجاد رموز عربية تمكّن من نطق الأصوات الأعجمية كما هي في لغتها ويكون عن طريق مقارنة كل صوت أعجمي بالعربي واختيار أقربها مخرجا إليه والرمز له بالحرف العربي بعد وضع علامة شبيه بنطق الشدة أي (ٌ) للتمييز بينه وبين الحرف العربي على أن يختار رمز واحد لكل صوت أعجمي ولا يجوز تجاوزه حتى إلى رمز صوت آخر قريب إلى الأعجمي مخرجا وذلك دفعا للخلل الذي وقعت به الطريقة العربية القديمة. وبناء على ذلك أقترح أن تكون الرموز كالآتي :

الصوت الأعجمي	الرمز المقترح له
V	فٚ
P	بٚ
G	كٚ
Ch	جٚ

وإذا استجدت أصوات أعجمية نرى الحاجة ماسة إلى إيجاد رموز عربية لها فإننا نتبع هذه الطريقة في إيجادها وبهذا نكون قد حافظنا على محاسن الطريقتين العربيتين القديمة والحديثة، كما نكون قد تلافينا مساوئهما. فباستخدامنا للحروف العربية في الرمز للأصوات الأعجمية نكون قد حافظنا على العدد الحالي للحروف العربية دون زيادة وبوضع العلامة عليه نتمكن من نطقه كما في لغته دونما صعوبة. كما أننا في اتباعنا لهذه الطريقة لانحتاج إلى إضافة أكثر من زر واحد يحمل علامة (ˇ) إلى الآلة الكاتبة أو إلى جهاز الحاسوب ويكون استخدامه مماثلا للأزرار المعمول بها حاليا التي تحمل علامة الشدة (ّ) أو المد (~) أو غيرهما. كما أن هذا المقترح يتلافى الخلل الذي تسمح به الطريقة العربية القديمة المتمثلة في جواز رسم الصوت الأعجمي بأكثر من حرف عربي إذا كان الحرفان أو الحروف يرمزان لصوتين قريبين من حيث المخرج إلى الصوت الأعجمي. وكل أمنيتي أن يحقق هذا المقترح ما أمله منه وما التوفيق إلا من عند الله.

⋘ ⋘ ⋘ ⋘

هوامش البحث ومصادره

(1) الكتاب لسيبويه، تحقيق محمد عبد السلام هارون، القاهرة سنة 1963، 303/4.

(2) المصدر السابق، 305/4.

(3) المصدر السابق، 307/4.

(4) المعرب من الكلام الأعجمي لأبي منصور الجواليقي، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة سنة 1969م ص 54.

(5) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل للخفاجي، نشره محمد عبد المنعم الخفاجي ط 1، القاهرة سنة 1952، ص 23.

(6) المعرب للجواليقي، ص 54-55، وانظر شفاء الغليل للخفاجي، ص 25.

(7) المزهر في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السيوطي، تحقيق لجنة من الأساتذة، القاهرة سنة 1960، 268/1.

(8) المعرب للجواليقي، ص 54.

(9) مجلة مجمع اللغة العربي الأردني، العدد (40)، ص 234.

(10) المصطلح العلمي العربي للدكتور مناف مهدي، ص 148، بحث منشور في مجلة اللسان العربي، العدد 30، سنة 1988، وانظر منهجية وضع المصطلحات الفنية للدكتور صادق الهلالي، ص 151، بحث نشر في مجلة اللسان العربي، العدد 27، سنة 1986، وانظر اللغة العربية والوعي القومي للدكتور جميل الملائكة، ط 1، بيروت، سنة 1984، ص 243.